ISSN: 3079-062X
مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alasala.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/aj/index

الزمان والمكان في سرديات "الطيب صالح"

د. عبد الوهاب مصباح العزائمي*
قسم اللغة العربية ، شعبة الأدبيات ، جامعة نالوت ، ليبيا
bdalwhabalzwmy38@gmail.com
تاريخ الارسال 2026/2/3م تاريخ القبول 2026/5/25م

Time and Place in the Fictional Narratives of Tayeb Salih

Abstract:
This study aims to analyze the elements of time and space in the narratives of "Tayeb Salih," by examining how these elements are employed in constructing the narrative scene, shaping character transformations, and intensifying the cultural and emotional dimensions of the text. The study uses the novels "Season of Migration to the North," "The Wedding of Zain," and "The Home's Light" as examples to analyze the spatiotemporal vision in the literature of "Tayeb Salih." It concludes that time and space in his works are not merely artistic frameworks, but means to represent reality and formulate the intellectual issues of identity, alienation, and history. Keywords: time, space, "Tayeb Salih," narratives, identity, alienation, post-colonialism.

المستخلص:
تسعى هذه الدراسة إلى تحليل عناصر الزمان والمكان في سرديات "الطيب صالح"، من خلال الوقوف على الكيفية التي تُوظّف بها هذه العناصر في بناء المشهد السردي، ورسم تحولات الشخصية، وتكثيف البعد الثقافي والوجداني للنص، وتتخذ الدراسة من روايات "موسم الهجرة إلى الشمال"، "عرس الزين"، "وضو البيت" نماذج لتحليل

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY NC

الرؤية الزمكانية في أدب "الطيب صالح"، وتخلص إلى أن الزمان والمكان في أعماله ليسا مجرد إطارين فنيين، بل هما وسيلتان لتمثيل الواقع، وصوغ الإشكالات الفكرية للهوية والاغتراب والتاريخ.

الكلمات المفتاحية: الزمان، المكان، "الطيب صالح"، سرديات، الهوية، الاغتراب، ما بعد الاستعمار.

المقدمة:

يمثل "الطيب صالح" أحد أبرز رموز الأدب العربي الحديث، حيث استطاع أن يُجسّد، عبر نصوصه، تعقيدات التجربة الإنسانية في السودان خلال مراحل الاستعمار وما بعده، وقد اتسمت أعماله بتقنيات سردية متقدمة، أبرزها توظيف الزمان والمكان بوصفهما عنصرين بنيويين في تشكيل النصوص، لا مجرد خلفيات للأحداث، فمن خلال الزمان يستدعي "الطيب صالح" التاريخ والذاكرة، ومن خلال المكان يخلق تقابلًا بين المحلي والعالمي، بين الجذور والمنفى، بين القرية والعاصمة. [1]

التمهيد:

يهدف هذا البحث إلى تحليل تمثيلات الزمان والمكان في سرديات "الطيب صالح"، مع التركيز على كيفية توظيف هذه العناصر في بناء المشهد السردي وتشكيل تحولات الشخصيات، وكشف الأبعاد الثقافية والاجتماعية والوجودية للنصوص، وذلك من خلال دراسة روايات مختارة أبرزها "موسم الهجرة إلى الشمال" و"عرس الزين" وبضو البيت".

فكرة البحث:

تبرز فكرة البحث في كونه يسهم في الكشف عن الأبعاد الرمزية والفنية لعناصر الزمان والمكان في أعمال "الطيب صالح"، ويوضح دورها في إعادة إنتاج الهوية الثقافية وتجربة الاغتراب والتحولات التاريخية في السودان، إضافة إلى إثراء الدراسات النقدية العربية في مجال السرديات، وإبراز ريادة "الطيب صالح" في التجريب الفني.

وتقتصر حدود البحث على دراسة أعمال "الطيب صالح" السردية الروائية والقصصية التي يوظف فيها الزمان والمكان كعناصر بنيوية أساسية، مع التركيز على ثلاث روايات رئيسية، من دون التوسع في أعماله الأخرى كالمقالات أو الحوارات أو

الكتابات النقدية، كما يقتصر البحث على تحليل البنية الفنية والدلالية من دون التطرق إلى المقارنات مع كتابات معاصرة أخرى. تكمن إشكالية البحث في محاولة الإجابة عن السؤال المركزي: كيف يوظف "الطيب صالح" عنصري الزمان والمكان في نصوصه السردية بوصفهما أكثر من إطارين للأحداث، بل كعناصر دلالية تكشف عن صراع الهوية والتاريخ والذاكرة؟ وتنبثق عن هذا السؤال أسئلة فرعية مثل: ما طبيعة العلاقة بين الزمان النفسي والزمن التاريخي في أعماله؟

وكيف يسهم المكان في تشكيل وعي الشخصيات وصراعاتها؟ وما هي التقنيات السردية التي يستخدمها الكاتب لكسر خطية الزمن وإضفاء طابع فلسفي على المكان؟

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج التحليلي النصي، الذي يقوم على تفكيك عناصر السرد ومكوناته، مع التركيز على دراسة تمثيلات الزمان والمكان في نصوص الطيب صالح بوصفها انساقا دلالية وثقافية، كما استُخدم المنهج المقارن عند الاقتضاء لمقاربة نتائج الدراسات السابقة وتحليل التباينات بينها، بالإضافة إلى الاستفادة من المنهج الوصفي في رصد السياق التاريخي والاجتماعي لأعمال الطيب صالح، ومنهج التأويل لفهم البنى الرمزية التي تتخلل خطاباته السردية.

أولًا- المبحث الاول :

- **الزمان ـ تدفق الذاكرة وتداخل الأزمنة:**

الزمان في سرديات "الطيب صالح" لا يُقدّم بوصفه خطًا زمنيًا مستقيمًا، بل يُبنى وفق منطق **الذاكرة المتقطعة**، و**الاسترجاع الزمني (الفلاش باك)**، حيث تتداخل الأزمنة الشخصية والجمعية، ويختلط الحاضر بالماضي في تجربة السرد، ففي "موسم الهجرة إلى الشمال"، ينتقل الراوي بين زمان الحاضر العائد إلى الوطن، وزمان ماضٍ مشحون بصراعات الهوية، ممثلًا في شخصية مصطفى سعيد. (2)

يتخذ الزمان في هذه السرديات دلالة وجودية؛ إذ يعكس التحولات التي يمر بها البطل، والانقسامات التي يعانيها على مستوى الانتماء والمعنى، وهو ما يظهر كذلك في "عرس الزين"، حيث الزمن يُقاس بحركة المجتمع القروي، مواسم الزراعة، والأعراس، وموت الأولياء، وكأن الزمن في ذاته جزء من البناء الرمزي للنص.

تُعدّ افتتاحية رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح محطة فارقة في مسار الرواية العربية؛ إذ جاءت بأسلوب سردي غير تقليدي، متجاوزة المألوف في تشكيل الزمن الروائي، فبداية الرواية ـ في ضوء زمن صدورها ـ تمثل خروجًا واعيًا عن

النسق السائد ـ آنذاك، وذلك من خلال توظيف مغاير للوحدات الزمنية يخدم البناء الفني للنص، لقد أحدث "الطيب صالح" من خلال هذه الافتتاحية ما يشبه "الصدمة المنهجية"، إذ طرح على القارئ أنماطًا جديدة من التكوين الفني لم تألفها الرواية العربية التقليدية.

من أبرز مظاهر هذا التمايز؛ أنه ضيّق المسافات الزمنية بشكل ملحوظ، حيث باتت معظم الأحداث تنحصر في يوم واحد أو بضع ساعات فقط، وبدلًا من التركيز على تتابع الزمن، تم تسليط الضوء على لحظات نوعية مفصلية داخل هذا الزمن المحدود، وبذلك تحررت الافتتاحية من الامتدادات الزمانية الواسعة التي اعتادت عليها الرواية العربية.

ومن الملامح البارزة في البنية السردية للرواية أيضًا؛ أن الراوي نفسه يختصر سبع سنوات من الغياب في جملة واحدة من دون الخوض في تفاصيل تلك المرحلة الزمنية أو الإشارة إلى مكانها، هذا الإسقاط المتعمد للزمن والمكان يندرج ضمن استراتيجية أدبية تهدف إلى تركيز السرد على اللحظة الراهنة، ومع أن بعض المشاهد لاحقًا تعيد استحضار تجربة الراوي في الخارج، إلا أن حضورها النصي ضئيل لدرجة لا تؤثر في انسجام البناء العام.

في ضوء ما سبق؛ تظهر افتتاحية "موسم الهجرة إلى الشمال" بوصفها نصًا مركزيًا يعكس وعيًا سرديات متقدمًا، يعيد تشكيل علاقة الزمن بالمكان والشخصيات، لقد استطاع "الطيب صالح"، من خلال هذا البناء غير التقليدي، أن يقدم رؤية روائية تتجاوز البنية الكلاسيكية، ليؤسس لنمط من السرد يعتمد على الاقتصاد في الزمن، والتركيز على اللحظة المفصلية، وتوظيف الغموض كأداة فنية لتعميق الدلالة وتكثيف الأثر.[3]

- **البنية الز مكانية في افتتاحية رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"**

اعتمد "الطيب صالح" في بناء افتتاحية روايته "موسم الهجرة إلى الشمال" على توظيف زماني ومكاني خاص ومتميز، جاء مغايرًا للمعهود في الرواية العربية ـ آنذاك، فقد استفاد الكاتب من تجربته السابقة في "عرس الزين" و"دومة ود حامد"، حين اختار ذات القرية السودانية ـ ود حامد ـ مسرحًا للأحداث، ما جعل القارئ على دراية بالمكان مسبقًا، وأتاح للكاتب تقليص المساحات الوصفية من دون الإخلال بالوضوح أو الفهم.

وبالفعل؛ فإن الرواية تبدأ بعودة الراوي بعد سبع سنوات من الغياب في أوروبا، إلى القرية التي عرفها القارئ سابقًا، رغم أن اسمها لا يُذكر صراحة، بل يُشار إليها بأدوات إحالة مثل "تلك القرية الصغيرة عند منحنى النيل"، ما يجعل المكان حاضرًا من دون الحاجة إلى وصف جديد، هذه التقنية قلّصت الحجم النصي المخصص للمكان، وركزت الجهد السردي على تطور الأحداث والشخصيات.

إضافة إلى ذلك؛ فإن الكاتب استخدم الاسترجاع آت والذكريات لا بوصفها وسيلة لملء الفراغات، بل كعنصر إبداعي يبني الحاضر من خلال الماضي، وكان الاسترجاع في شكل تأملات ومونولوج آت حميمية، تتلاشى فيها الحدود بين زمن السرد وزمن الحدث، كما أن الوصف المكاني حين حضر، جاء محمولًا على التجربة الذاتية للشخصيات، فخلق صورًا متحركة نابضة بالحياة، بدلًا من المقاطع الوصفية الجامدة، وفي هذا السياق، تظهر شجرة الطلح التي ارتبطت بذكريات الراوي في الطفولة، كمثال على الاقتصاد في الوصف من دون التفريط في الدلالة، إذ لم يتجاوز وصفها تحديد موقعها والإشارة إليها، لكنها حملت عبقًا شعوريًا يعكس العلاقة الحميمية بين الشخصية والمكان.[3]

- **الاستباق: المستقبل كبنية مبنية للمجهول:**

يمكن القول في مستهل هذا الطرح؛ إن اعتماد رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" على ضمير المتكلم في السرد، حيث يكون الراوي مشاركًا في الأحداث (Intra-diégétique)، يجعلها حقلًا خصبًا لظهور ظاهرة "الاستباق"، وذلك تأسيسًا على الطرح النظري الذي يرى أن هذا النمط من السرد يمنح الراوي إمكانية التلميح إلى المستقبل أو تسليط الضوء على الحاضر ضمن نطاق مسؤوليته السردية؛ إذ إن الراوي المشارك، سواء كان يسرد أحداثًا منتهية أو لا تزال قيد التشكّل؛ يمتلك القدرة على لمس الزمن الآتي.

ففي حال سرد أحداث مكتملة؛ يستطيع الراوي ـ بحكم اطلاعه على مجريات القصة ـ أن يُشير إلى لحظات زمنية لم يَبلغها السرد بعد، من دون الإخلال بالتسلسل الزمني للأحداث، ويعود ذلك إلى قدرة الراوي على برمجة خط سيره السردي ما بين نقطتي البداية والنهاية؛ ما يسمح بكسر خطية الزمن، إما عبر قفزات استرجاعية أو استباقية، وعند حدوث قفزة نحو الأمام؛ يُطلب من القارئ أن يستثمر خياله في سد الفجوة الزمنية، رغم احتمال خيبة أفق التوقع في حال انطوت هذه القفزات على إيحاءات زائفة. [4]

- **الفواتح: استباقات يغلب عليها التوجس:**

تظهر الفواتح في الرواية كاستكشافات مستقبلية تقدمها الشخصيات بصيغ تعبيرية يغلب عليها التأمل والقلق والتوجس، على نحو ما يظهر في قول الراوي:

"إنني أريد أن آخذ حقي من الحياة عنوة، وصفحات بيضاء في سجل العمر، سأكتب فيها جملًا واضحة بخط جريء".

فهذا التطلع ـ رغم أنه يحمل رغبة داخلية قوية ـ يظل منفتحًا على تأويل رمزي فلسفي غير محسوم التحقق.

وفي موضع آخر؛ يُجسّد "مصطفى سعيد" رؤيته المثالية للمستقبل بقوله: "ولكن إلى أن يرث المستضعفون الأرض، وتُسرّح الجيوش، ويرعى الحمل آمنًا بجوار الذئب، سأظل أعبر عن نفسي بهذه الطريقة الملتوية".

وهنا، نجد أن التطلع المستقبلي مشروط بزمن يوتيوب خيالي لا تحقّق له إلا رمزيًا، ما يعمّق الطابع الفلسفي للرواية.

وفي مقابل هذه التصورات المفتوحة؛ نجد نماذج من الاستباقان المشروطة، التي تقرن تحقق المستقبل بجملة من الشروط، من ذلك تهديد أرملة مصطفى سعيد بقتل نفسها وقتل "ود الريس" في حال أُجبرت على الزواج منه. (5)

- **الاستباق الإرجاعي والتداخل الزمني:**

حين يستدعي البطل الماضي من خلال ذاكرته؛ فإن الاستباقان التي تصدر عنه تعدّ منتهية بالنسبة له، ولكنها مستقبلية بالنسبة للقارئ الذي لم يطّلع بعد على تفاصيلها، وهذا ما يسمّيه الناقد سعيد يقطين بـ"الاستباق الإرجاعي"، أي أن ما يُروى يُعد استباقًا داخل القصة المضمّنة، ولكنه يعود ليشكل ماضيًا ضمن القصة الإطار، ولتقريب هذا المفهوم؛ يمكن رسم نموذج زمني يُظهر تداخل مستويات القصة والسرد، حيث تتقاطع النقاط الزمنية بين القصة الأم وسيرة مصطفى سعيد، وتتوزع بين محطات ثلاث:

1. ما قبل عودة مصطفى إلى القرية.
2. ما قبل عودة الراوي.
3. ما بعد عودة الراوي.

وإذا نظرنا إلى هذه المحطات على محور القصة وزمن السرد؛ فسنجد أن الشكل الفني الذي تبناه الكاتب لا يعبث بالزمن اعتباطًا، بل يوظفه لكسر تسلسل الأحداث التقليدي وتوليد معانٍ مركّبة، فالراوي لا يتفاعل مع اعترافات مصطفى في الفصل الثاني. (6)

- **الشكل والدلالة: ترابط متين:**

يتضح من تحليل البنية الزمنية للرواية؛ أن الشكل السردي لا ينفصل عن المحتوى، بل إن كل خلل في تسلسل الحلقات الزمنية من ماضٍ وحاضر ومستقبل، ينعكس مباشرة على دلالة النص، ويؤكد ذلك ما ذهبت إليه الناقدة "يمنى العيد"، حين رأت أن زمن السرد المعاكس لتسلسل الأحداث "يوهم بالواقعية من جهة، ويُنتج الاحتمال والتخييل من جهة أخرى، ما يسمح للفعل الروائي بتوليد دلالات مفتوحة تتجاوز نهاياتها الظاهرة"، وبناء عليه؛ فإن الدلالة في "موسم الهجرة إلى الشمال" ليست مجرد محتوى يُنقل عبر السرد.

أولًا: تقنيات الزمان:

1. **الاستباق (Prolepsis)**:

ـ يُستخدم لتقديم إشارات عن أحداث مستقبلية، سواء بشكل مؤكد أو محتمل.

نوعان: (7)

ـ **استباق مؤكد** كما في استباقان البطل "مصطفى سعيد"؛ لأنه يسرد أحداثًا ماضية مكتملة.

ـ **استباق غير مؤكد** كما في استباقان الراوي (أنا) القائمة على التوجس والتخيل.

2. **الاسترجاع (Analepsis)**:

يُستعمل لسرد أحداث وقعت في الماضي من خلال الذاكرة، خاصة في الفصل الثاني الذي يروي فيه "مصطفى سعيد" سيرته الذاتية.

يتم عبر ما يسمى بـ "الاستباق الإرجاعي"، أي أن السرد يشير إلى أحداث سابقة ضمن تسلسل زمني لاحق. (8)

3. **كسر الخطية الزمنية**:

ـ يتم تكسير تسلسل الأحداث زمنيًا بشكل متعمد؛ ما يجعل الرواية لا تسير وفق تتابع زمني طبيعي (أ ← ب ← ج)، بل وفق تسلسل فني معكوس (هـ و← أ ب ← ج د).

ـ هذا الترتيب يسهم في بناء دلالة فلسفية وقلق وجودي من خلال التلاعب بزمن السرد.

4. **الزمن النفسي / التخيلي**:

ـ يظهر في تطلعات الشخصيات للمستقبل، من خلال الأمنيات أو الهواجس، كما في أمنيات الراوي بمستقبل أفضل أو في تهديد الأرملة الذي تحقق لاحقًا. (9)

ثانيًا- المبحث الثاني :

- **المكان - بين ود حامد والمنفى:**

يشكل المكان في سرديات "الطيب صالح" بُعدًا دلاليًا يتجاوز كونه جغرافيًا، فالقرية "ود حامد" – الحاضرة في معظم أعماله – تمثل مركز الثبات والهُوية والجذر الثقافي، وهي فضاء تقليدي نابض بالحياة والتدين الشعبي والعلاقات البسيطة، في المقابل؛ تُقدَّم المدن الأجنبية (لندن، القاهرة) كأماكن اغتراب وانفصال، حيث يعيش البطل السوداني صدامًا بين الذات والآخر، إن المكان في نصوص "الطيب صالح" دائمًا ما يكون مُحمّلًا بالرموز: فالنهر مثلًا – في ضو البيت – ليس مجرد نهر، بل رمز للحياة والموت؛ للانتقال والانبعاث.

1. **المكان المفتوح / المتعدد:**

الرواية تنتقل بين عدة أماكن (القرية – لندن – الصحراء – النهر)، ما يُظهر تنوعًا مكانيًا واسعًا يعكس الصراع الداخلي والخارجي للشخصيات.

تُعدّ القرية السودانية نقطة الانطلاق والمرجعية المكانية الأساسية في الرواية؛ إذ تمثل فضاءً للانتماء والجذور والهوية، فهي الحاضنة الأولى للراوي ولشخصيات الرواية، وفيها تتجلّى العلاقات الاجتماعية القائمة على البساطة والتقاليد، كما تُبرز ثنائية الاستقرار مقابل الاضطراب الذي سيعيشه البطل لاحقًا، وتُوظَّف القرية أيضًا كمجال للمقارنة الضمنية مع العالم الغربي، خاصةً حين يعود الراوي من الخارج محمّلًا بتجربة مختلفة، تجعله يقرأ تفاصيل المكان بنظرة مزدوجة تجمع الحنين والاغتراب في آنٍ واحد. (10)

في المقابل؛ تمثل "لندن" النقيض الجغرافي والرمزي للقرية، حيث يجسّد المكان في الغرب رمزًا للتصادم الحضاري والهوية المزدوجة، فهي ليست مجرد انتقال مكاني؛ بل تحول عميق في وعي الشخصيات، خاصة شخصية "مصطفى سعيد"، التي تجد في هذا المكان مسرحًا لصراعها النفسي والثقافي، لقد قدّمت لندن له الانفتاح والسلطة والمأساة معًا، إذ كانت فضاء للنجاح الأكاديمي والانهيار الشخصي في آن، وهنا تتداخل أبعاد المكان مع المكونات النفسية والرمزية، ما يجعل لندن أكثر من مجرد مدينة، بل معادلًا موضوعيًّا للقلق والتمزق الداخلي.

ويبرز "النهر" كعنصر مكاني له دلالة غامضة ومركبة في الرواية؛ إذ يقف في لحظات كثيرة رمزًا للتحوّل والانبعاث وربما الفناء، فمن خلال النهر، تتقاطع الذاكرة مع المصير، وتُستثار أسئلة الوجود واللاعودة، خصوصًا في مشهد النهاية، الذي

يواجه فيه "الراوي" قراره الحاسم بين الحياة والموت، يمثل النهر نقطة مفصلية لاكتشاف الذات أو الغرق في العدم؛ ما يجعل منه مكانًا وجوديًّا بامتياز، يحمل دلالات تتجاوز الجغرافيا إلى الفلسفة.

أما الصحراء؛ فتأتي امتدادًا رمزيًا للمجهول والتيه. (11)

2. **المكان الرمزي**:

تتجلى رمزية المكان في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" من خلال التقابل الحاد بين فضاءين أساسيين: "لندن والقرية السودانية"

يمثل كل منهما أكثر من مجرد مكان جغرافي؛ إذ يتحولان إلى رمزين حضاريين وثقافيين يعكسان صراع الهوية لدى الشخصيات، وعلى رأسها "مصطفى سعيد" و"الراوي" فالرواية لا تقدم المكان بوصفه ديكورًا جامدًا، بل بوصفه عنصرًا فاعلًا في تشكيل وعي الأبطال ومساراتهم النفسية, ترمز "لندن" في الرواية إلى عالم التغريب والهيمنة الاستعمارية؛ إذ إنها تمثل المركز الإمبراطوري الذي استقطب "مصطفى سعيد"، ومنحه أدوات التفوق والهيمنة الثقافية، لكنها ـ في الوقت ذاته ـ جرّدته من استقراره الداخلي، وجعلته يواجه أزمة ذاتية عميقة، "لندن" ليست فقط مدينة الحداثة والجامعات؛ بل أيضًا مكان الانفصال عن الجذور، والانغماس في نمط حياة مملوء بالاغتراب والتشييء، وهي في هذا السياق تمثل رمزًا للصدمة الحضارية التي يتعرض لها المثقف العربي عندما يواجه الغرب من موقع التبعية لا الندية، في المقابل، ترمز القرية السودانية إلى الأصالة والهوية والانتماء، فهي تمثل الامتداد الطبيعي للذات قبل أن تمسخها التجربة الغربية، في القرية؛ تتجلى القيم التقليدية والعلاقات الإنسانية البسيطة، كما يُستعاد الشعور بالسكينة والطمأنينة المفقودة في الغرب، ومع ذلك؛ فإن هذا المكان لا يخلو من التعقيد، فهو ليس فردوسًا بريئًا بالكامل، بل يحمل هو الآخر بعض التوترات الاجتماعية والصراعات المكبوتة، لكنه يظل رمزًا للثبات مقابل هشاشة الغرب. (12)

المكان الغامض/المسكوت عنه: غرفة مصطفى سعيد بوصفها بنية رمزية خفية

من بين أهم العناصر المكانية التي تنفرد بها رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح؛ تبرز غرفة مصطفى سعيد كأحد أبرز رموز "المكان الغامض" أو "المسكوت عنه"، وهو المكان الذي يتحول من فضاء مادي هامشي في بداية الرواية، إلى مركز رمزي تتقاطع فيه مختلف الأسئلة الوجودية والنفسية والفكرية التي تطرحها الرواية،

هذه الغرفة ليست مجرد حيّز معزول داخل بيت ريفي، بل هي بناء رمزي معقد يحمل أبعادًا متعددة، منها: الكتمان، التمثيل النفسي، الإرث الفكري، وسرّ الهوية.

تُقدّم الغرفة في بداية الرواية بوصفها منطقة مغلقة ومحظورة، إذ يوصي "مصطفى سعيد" الراوي بعدم فتحها وعدم السماح لأحد بدخولها، وهي وصية تُفرض على "القارئ" كما تُفرض على "الراوي"؛ ما يخلق توترًا سرديًا ويؤسس لما يشبه "السر المؤجل" الذي لا تُفتح أبوابه إلا في وقت متأخر، وهذا الغموض المتعمد يسهم في خلق "أفق توقع سردي "يربط القارئ بالمكان، ويحوّله إلى رمز مكثف للأسئلة المحورية في الرواية: من هو مصطفى سعيد حقًا؟ ماذا يخفي؟ ولماذا اختار أن يعيش في عزلة داخل عزلة؟ (13)

تطرح الغرفة ـ بوصفها مكانًا غامضًا ـ سؤالًا أخلاقيًا وفلسفيًا حول حق الآخر في معرفة الذات الخاصة لشخصٍ ما، فهل كان مصطفى سعيد ملزمًا بكشف ذاته؟ أم أن الغموض هو جزء من حماية هويته الممزقة؟ هذه الأسئلة لا تقدم الرواية إجابات قاطعة عنها، لكنها توظّف المكان بوصفه وسيلة لاستثارة التفكير النقدي حول العلاقة بين العلن والسر، بين ما يُقال وما يُخفى. (9) وعندما يقرر "الراوي" كسر هذه الوصية والدخول إلى الغرفة؛ فإن ذلك لا يعني فقط اختراقًا لمكان مغلق، بل أيضًا خوضًا في مغامرة وجودية ومعرفية، إذ يجد نفسه في مواجهة طبقات مركبة من الحكايات والوثائق التي تحكي سردية مغايرة لما بدا على السطح، وبهذا يتحول المكان من "حيّز فيزيائي" إلى "فضاء تفكيك السرد"، حيث يُعاد ترتيب الماضي على نحو يعيد للقارئ فهمه من منظور أعمق، كذلك؛ ترتبط الغرفة بفكرة الاستعمار الثقافي، فهي تحتوي على رموز حضارية غربية متمثلة في الكتب والمجلات والصور التي تشير إلى مدى تغلغل الثقافة الغربية في شخصية مصطفى، وهنا لا يعود المكان مكانًا خاصًا فقط؛ بل يصبح مسرحًا لصراع الثقافات داخل الذات العربية المستعمرة التي تتجاذبها قيم الانتماء والحداثة، وبالتالي؛ تتجلى رمزية الغرفة أيضًا بوصفها تمثيلًا للتجربة الكولونيالية ذاتها، بكل ما تحمله من تناقضات وتوترات. (14)

3. **المكان الحميمي:**

كأماكن الجلسات الليلية (جلسات الجد)، حيث تُكشف الحكايات المحرمة والجوانب النفسية لشخصيات الرواية.

المكان الحميمي: جلسات الليل بوصفها مرآة للوعي الجمعي والمكبوتات النفسية:

في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح، لا يقتصر المكان على أبعاده الجغرافية والمادية؛ بل يتجاوزها ليصبح أداة فنية دلالية تعبّر عن تحولات الشخصيات وانفعالاتها ومكبوتاتها، ومن بين أكثر أشكال المكان تعبيرًا عن الداخل الإنساني وأعماقه النفسية، نجد المكان الحميمي، الذي تتمثل أبرز تجلياته في الرواية في جلسات الليل، خاصة جلسات الجد؛ حيث تنبثق الحكايات، وتتكشف الأسرار، ويُروى المسكوت عنه من تاريخ الأفراد والمجتمع. (15) تتسم جلسات الليل بطابعها الدافئ والحميمي، وهي لحظات خارجة عن الصخب اليومي، تدور غالبًا في فضاءات مغلقة أو شبه مغلقة (كالبيوت أو تحت ظل الأشجار في القرية)، وتحضر فيها الشخصيات لا بصفتها الاجتماعية فقط؛ بل بشريتها العارية والمكشوفة، إنها جلسات **تعرية داخلية**، فيها يتكلم الناس بصراحة وراحة، بعيدًا عن رقابة السلطة والمجتمع، وتطفو على السطح الحكايات "العارية"، التي غالبًا ما تكون ممنوعة في المجال العام، لا سيما تلك المرتبطة بالجنس، أو العنف، أو الفضح الأخلاقي، وفي هذا السياق؛ تتحول **جلسات الجد** إلى **فضاء سردي داخلي بديل**، فيه يُعاد بناء التاريخ الشخصي والجماعي من خلال الحكايات، وهو ما يمنح الرواية بُعدًا شفهيًا يُعيد صدى السرد العربي التقليدي، حيث يشكل "الحكي" فعلًا تطهيريًا وموقفًا من العالم، ويُلاحظ أن معظم الحكايات التي تُروى في هذه الجلسات تنطوي على أبعاد نفسية عميقة، وتكشف عن التوتر بين التقاليد والرغبات، وبين المسموح والممنوع. (16)

تُظهر هذه الجلسات كيف أن المكان الحميمي هو أيضًا مكان للانكشاف، حيث تنهار الأقنعة، وتظهر هشاشة الشخصيات، وهذا ما يحدث للراوي حين يسمع تفاصيل غير متوقعة عن "مصطفى سعيد" في جلسة الجد، ويُفاجأ أن ثمة الكثير ما لا يعرفه عن هذا الرجل الغامض ـ رغم قربه منه، وهكذا؛ فإن المكان الحميمي يتيح تدفقًا سرديًا حرًا، خارج نمطية السرد الخارجي، ويجعل من الحوار الليلي ساحة لتفجير الأسئلة الوجودية، سواء المتعلقة بالهوية أو الرغبة أو المصير. (16)

4. **المكان المتخيل**:

يظهر في تطلعات الراوي لمستقبل مليء بالسلام أو اليوتوبيا التي لن تتحقق، مثل تخيله أن "الصبي سيلعب كرة الماء مع التمساح". (17)

المكان المتخيل: اليوتيوب الضائعة في خيال الراوي:

في عالم "الطيب صالح" الروائي؛ لا تقتصر الأمكنة على ما هو واقعي ومحسوس، بل تنفتح على أفق **الخيال والتطلّع والحلم**، فتتكوّن فضاءات ذهنية تعكس الرغبة

العميقة في الانعتاق من الواقع، أو تجاوزه إلى ما هو أفضل وأجمل، ويمثل هذا الشكل المكاني ما يُعرف بـ "المكان المتخيل"، وهو المكان الذي لا وجود له في الحقيقة المادية، لكنه حاضر بقوة في الوعي واللاوعي، وتعبّر عنه الرواية من خلال تطلعات الشخصيات وخيالاتها وأحلامها.

إن هذه الصورة المتخيلة، التي يُسقطها الراوي في لحظة تأمل على خلفية مشهد طبيعي مهدّد (النهر، التمساح، الموت المحتمل)، تعبّر عن **رغبة عميقة في المصالحة بين الإنسان والطبيعة، بين البراءة والخطر، بين الحياة والموت**، فالتماسيح ـ في الخيال الجمعي السوداني ـ كائنات مفترسة، تمثل الخوف والغموض والموت الكامن في مياه النيل، بينما الطفل يرمز للبراءة والمستقبل والنقاء. (18)

وعلى المستوى النفسي؛ يُمكن اعتبار هذا المكان المتخيل **تعويضًا لا شعوريًا** عن الإحباط واليأس الذي يعيشه الراوي، فبعد أن فقد إيمانه بقدرة "مصطفى سعيد" على أن يكون "رمزًا للنجاة"، وبعد أن شعر بأنه هو نفسه عاجز عن صنع التغيير، يلجأ إلى هذا الحلم الطفولي ليؤكد أن هناك دائمًا أملًا. (19)

أما من الناحية الأسلوبية؛ فقد اختار "الطيب صالح" أن يُقدّم هذا المكان المتخيل بلغة شاعرية، خالية من التوتر، تقف على النقيض من اللغة الحادة التي توصف بها أماكن الصراع أو الاستعمار أو التوتر النفسي، وهذا الأسلوب يشد القارئ إلى سحر الصورة ويمنحه لحظة استراحة سردية، لكنه في الوقت نفسه يُحزنه؛ لأنه يعلم أن ما يُقال غير ممكن، وأن الرواية تعلن بذلك نهاية الحلم وبداية الحقيقة.

وتُعد هذه الصورة مثالًا حيًا على قدرة المكان المتخيل على أن يُصبح أداة للتعليق الفلسفي على العالم، فهو ليس مجرد خيال ساذج؛ بل يحمل في طياته نظرة كاملة للحياة، تشكّلت بفعل التجربة والخذلان، كما أن الصورة تقترح أن الراوي ـ رغم وعيه العميق وتعليمه العالي ـ لا يملك إجابة حاسمة؛ بل يلجأ إلى الفن والشعر والخيال، كما يفعل كل المهزومين الكبار، ليقاوم به قسوة الواقع.

وبالعودة إلى بنية الرواية الكلية؛ نجد أن هذه الصورة اليوتوبية هي واحدة من قلائل لحظات الحلم في النص، الذي يغلب عليه الطابع التقريري والتشريحي، ولعل هذا ما يجعلها تلمع في وعي القارئ؛ لأنها تشكّل خرقًا للسياق، وتفتح نافذة على ما يمكن أن يكون، لا ما هو كائن بالفعل، وبالتالي؛ فإن المكان المتخيل في هذا السياق يعمل كبُعد رابع للنص، يحرره من القيود الواقعية، ويمنحه طاقة تأملية وشعرية بالغة التأثير. (20)

ثالثًا ـ التفاعل بين الزمان والمكان ـ بنية سردية دائرية:

اللافت في سرديات "الطيب صالح"؛ هو أن الزمان والمكان لا يعملان كلًا على حدة؛ بل يتفاعلان ضمن نسيج سردي دائري، فغالبًا ما يبدأ النص بمكان وزمن حاضر، ثم يعود إلى الماضي، ليُعيد تشكيل الحاضر بعيون الخبرة والندم والتأمل، وتُعَدّ هذه البنية الدائرية شكلًا من أشكال استدعاء الزمن النفسي، أي الزمن كما يعيشه الإنسان لا كما يُقاس تقويميًا، يتجلى هذا التفاعل بوضوح في "موسم الهجرة إلى الشمال"؛ حيث تندمج الذاكرة الشخصية للبطل مع الجغرافيا المتحركة بين الخرطوم ولندن، ويصبح الزمن أداة لكشف التغير الداخلي في البطل، والمكان مرآة لما يحدث في أعماقه.

التفاعل بين الزمان والمكان: نحو بنية سردية دائرية في "موسم الهجرة إلى الشمال"

تمتاز رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح ببنية سردية محكمة تتداخل فيها أبعاد الزمان والمكان لتشكّل معًا فضاءً روائيًا دلاليًا معقدًا ومتقن البناء، فالعلاقة بين الزمان والمكان ليست علاقة حيادية أو خلفية لحركة الشخصيات؛ بل هي علاقة **تفاعلية حيوية** تُغذي السرد وتشكّل بنيته العامة، إلى الحد الذي يُمكن فيه وصف الرواية بأنها بنية دائرية ذات طابع زمني ـ مكاني متداخل. (21)

أولًا: الزمان كرحلة متكسّرة بين الماضي والحاضر

تتحرك الرواية زمنيًا في خط غير مستقيم، معتمدة على التقديم والتأخير، والاسترجاع والاستباق، فالزمن لا يُروى بشكل خطي من البداية إلى النهاية؛ بل يُقدَّم كفسيفساء تتناثر فيها لحظات التذكر والحنين.

ثانيًا: المكان كمرآة لتحولات الزمن:

في المقابل، يتمتع المكان في الرواية بمرونة رمزية شديدة، فهو ليس فقط فضاءً جغرافيًا.

(القرية ـ لندن ـ النهر ـ غرفة مصطفى سعيد)، بل يتخذ صفة الديناميكية، ويتفاعل مع الزمن بطريقة تجعل منه حاملًا للذاكرة أو موضعًا للانفصال، القرية، على سبيل المثال، تمثل امتدادًا زمنيًا عميقًا ومتجذرًا، فهي الحنين إلى الماضي، في حين تمثل لندن لحظة قطيعة زمنية، وانفجارًا للذات في حاضر مضطرب مليء بالتناقضات الثقافية. (22)

ثالثًا ـ التقاطع بين الزمان والمكان ـ السرد الدائري:

يتجلى التفاعل الأقصى بين الزمان والمكان في **البنية الدائرية** للرواية؛ إذ تبدأ وتنتهي على ضفاف النهر، في مشهد يرتبط بالتحول الوجودي للراوي، فالمشهد الافتتاحي يتضمن عودة الراوي إلى قريته بعد غياب، بينما يتضمّن الختام محاولة انتحار محتملة، ومقاومة الموت وسط النهر، وهنا لا يُفهم المكان (النهر) إلا من خلال الزمن (العودة، النهاية، التحول)، ولا يُفهم الزمن إلا في علاقته بمكان محدد يعيد إنتاج ذاته في سياق جديد.

رابعًا ـ الأمكنة بوصفها مراحل في الزمن:

إن تنقّل الراوي بين الأمكنة (القرية، الخرطوم، لندن، ثم العودة) يُحيل إلى مراحل مختلفة في نضوجه، ويُعيد إنتاج سردية الشخصية من خلال فضاءات ذات طبيعة زمنية، فكل مكان في الرواية يُعبر عن مرحلة وعي.

خاتمة:

تكشف هذه الدراسة أن الزمان والمكان في سرديات "الطيب صالح" ليسا عناصر تقنية فقط؛ بل يحملان عمقًا رمزيًا وثقافيًا ووجوديًا، فالزمان يُعيد صياغة التجربة من منظور ذاتي ـ جمعي، والمكان يُمثّل معادلًا للانتماء أو للاغتراب، وفي التفاعل بينهما تتشكّل بنية سردية ذات خصوصية عالية، تضع أعمال "الطيب صالح" ضمن طليعة الأدب العربي الحديث من حيث العمق الفني والبعد الإنساني، إن مقاربة الزمان والمكان في نصوص "الطيب صالح" لا تُغني فقط عن فهم بنيته السردية؛ بل تكشف كذلك عن **صراع الهوية الثقافية** في عالم ما بعد الاستعمار، وعن التوتر بين الجذور والارتحال، بين الأصالة والتحوّل، وهو ما يجعل من مشروعه السردي فضاءً غنيًا للتحليل الأدبي والثقافي معًا.

توصيات:

ـ ضرورة التوسع في الدراسات المقارنة بين معالجة "الطيب صالح" للزمان والمكان، وبين أعمال كتاب آخرين من السودان أو العالم العربي، لاستجلاء الخصوصية الفنية في أعماله.

ـ البحث في علاقة الزمان والمكان بالتحولات الاجتماعية والثقافية التي عكسها "الطيب صالح" في أعماله، وربطها بالسياق التاريخي السوداني.

ـ توظيف مناهج نقدية حديثة (مثل النقد الثقافي، النقد السيميائي) لدراسة الزمان والمكان في نصوصه، لكشف دلالاتها العميقة.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة

الهوامش ::

1. عثمان، اخلاص محمد، وصالح، رفيدة مبارك أحمد. (2021). إنشاء شخصيات الرسوم المصورة (كوميكس) من السرديات الوصفية لقصص "الطيب صالح". مجلة العلوم الإنسانية، مج 22، ع 3، 132 – 149.
2. كنه، عثمان محمد عثمان الحاج. (2021). شخصية "الطيب صالح" في كتابه بين الجنادرية وأصيلة: مقاربة سردية. مجلة جامعة دنقلا للبحوث العلمية، مج 11، ع 20، 92 – 102.
3. الطيب صالح, "موسم الهجرة إلى الشمال" الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1979.
4. يوسف نور عوض: "الطيب صالح" في منظور النقد البنيوي. ص. 163
5. عبدالمطلب، محمد. (2009). "الطيب صالح" بين ثقافتين. إبداع ـ الإصدار الثالث، ع 10,11، 186 – 192.
6. الحجاجي، أحمد شمس الدين. (1986). صانع الأسطورة: "الطيب صالح". مجلة عيون المقالات، ع2، 15 – 44.
7. درويش، أحمد إبراهيم. (2011). النيل مكانًا روائيًا في كتابات "الطيب صالح". كتابات، ع 2، 9 – 29.
8. نبيل، مصطفى. (2007). عالم "الطيب صالح". مجلة الفيصل الأدبية، مج 3، ع 1,2، 127 – 135
9. البشير، سعدية موسى عمر. (2020). روايات "الطيب صالح": دراسة سيميائية. المجلة العربية للنشر العلمي، ع 25، 500 – 520.
10. خليفة، مجاهد علي أحمد. (2023). "الطيب صالح" بين وطنين: قراءة في كتاب وطني السودان. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، ع 39، الإصدار 1، 2605 – 2646.
11. صالح، الطيب محمد، الشمعة، خلدون، وصبحي، محيي الدين. (1973). "الطيب صالح" روائيا وناقدا. الموقف الأدبي، مج 3، ع 4,5، 50 – 56.
12. السامرائي، ماجد أحمد. (1981). مقابلة أدبية مع "الطيب صالح": تفاصيل في عالم الرواية. مجلة الآداب، س 29، ع 1,2، 3 – 8.
13. فضل الله، حامد. (2010). "الطيب صالح" في عيون الألمان! أدب ونقد، مج 26, ع 301، 38 – 50.

14. هيئة التحرير. (2018). "الطيب صالح": عبقري الرواية العربية. مجلة فكر، ع 21، 56 – 59.
15. ميرغني، هاشم. (2012). "الطيب صالح" وإشكاليات الخطاب النقدى. مجلة العلوم الإنسانية، مج 13، ع 1، 24 – 34.
16. الشمري، هياء علي. (2020). رؤية العالم عند "الطيب صالح": مقاربة في ضوء المنهج الأسطوري. مجلة كلية دار العلوم، ع 132، 943 – 966.
17. أبو عوف، عبدالرحمن. (2009). بعد الواقع والأسطورة في أدب الطيب الصالح. الرواية ـ قضايا وآفاق، ع 3، 197 – 206.
18. السعافين، إبراهيم عبدالرحيم. (2009). من "عرس الزين" بدأ "الطيب صالح": حمل استعارة المرأة المشتهاة المشتهية على الأرض في كل طقوس التبرج والخصب. أقلام جديدة، ع 27، 98 – 103.
19. البيطار، خليل. (2018). "الطيب صالح" والانتماء للمكان وجدلية الحياة والموت: رواية "بندر شاه" نموذجا. الموقف الأدبي، مج 47، ع 567، 156 – 160.
20. عوض، عبدالرحمن. (2009). الرواية السودانية ما بعد "الطيب صالح". الرواية ـ قضايا وآفاق، ع 3، 207 – 2011.
21. العسال، زينب. (2009). الحنين إلى الوطن في إبداع "الطيب صالح". إبداع ـ الإصدار الثالث، ع 10,11، 193 - 196.
22. حمد، أمير. (2007). الزمان والمكان عند "الطيب صالح" وبروست. أدب ونقد، مج 23، ع 264، 119 – 128.